

## الأسبوع الثالث

### مجتمع العدالة في نهج البلاغة

#### المقدمة :

من المبادئ الإنسانية التي قام عليها الإسلام من خلال رسالته وتعاليمه تحقيق العدل بين الناس والقضاء على الظلم والجور ، لهذا نجد أن جميع نواحي التشريع الاسلامي قد ارتبطت بشكل مباشر بالعدالة والمساواة .

ولذا فإن ارقى مهمة حمل لوائها ورفع شعارها الأنبياء والمرسلون هي العمل على تربية المجتمعات البشرية ، وإنقاذ الناس من الجهل والظلم والعمل على إصلاح النوع الإنساني أفرادا ومجتمعات على ضوء ما استفادوه من ذلك المنبع الإلهي الهادي ، فقدموا للبشرية أفضل ما تحلم به وما تصبو اليه على صعيد التكافل والتعاون وإلغاء الامتيازات والفوارق الاجتماعية ، فكان العمل لأجل تحقيق العدالة الاجتماعية اعظم هدف من أهداف بعثة الأنبياء وتشريع الأديان كما ذكر القرآن الكريم في بيان علة إرسال الرسل قال تعالى : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) <sup>1</sup> ، وقال تعالى :مخاطبا نبيه داوود عليه السلام : ( يا داوود إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ) <sup>2</sup> ، وقال تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) <sup>3</sup> ، ولهذا يلاحظ المتتبع لسيرة الأنبياء وآيات القرآن مدى الاهتمام البالغ الذي اولته الشرائع السماوية لهذه القضية .

#### العدل في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله :

بعث الله سبحانه وتعالى نبيه الأمين محمد صلى الله عليه وآله وسلم لنشر العدل وبسط الأمن والدعة بين الناس وإنقاذهم من الضلال والظلم والجهل والجور، وقد امر الله تعالى نبيه ان يخاطب الناس بالقول :

( فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَ اسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَ قُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) <sup>4</sup> ، بالإضافة إلى كثير من الآيات التي وردت في الحث على العدل

والمساواة ، ليعيش أبناء المجتمع في هناء وراحة وسعادة ويسود الاستقرار والأمن وبهذا نعرف السبب في ورود كلمة العدل في القرآن في أكثر من عشرين مورداً .  
وانطلق النبي صلى الله عليه وآله لتغيير كل معالم الظلم التي كانت سائده في المجتمع الجاهلي فارسي قواعد العدالة الاجتماعية على وفق معايير القرآن الكريم ومناهج الإسلام العظيم وحارب كل أشكال التفاوت الطبقي وجعل الناس سواسية في العطاء من بيت المال وشيد أركان المساواة بين جميع الخلق وجعل المبدأ أنه لا ميزة ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى وجعل المؤمنين إخوة ، قال تعالى : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ )<sup>5</sup> ، وأن المؤمنين بعضهم أكفاء بعض .

## مفهوم العدل عند الامام علي عليه السلام :

للإمام علي عليه السلام فهم خاص لمعنى العدل ، استقاه من روح الإسلام وأصالته ، فامتزج بدمه وعقله وفكره ، وتحول إلى نهج خطه عليه السلام بدمائه الطاهرة ، حتى كان سببا في مظلوميته من قبل أصحاب المصالح الشخصية الذين ما اعتنقوا الإسلام إلا خوفاً أو رهبة أو طمعا في مال أو جاه أو سلطان ، ويؤثر عنه قوله : ( ما ترك الحق لي من صديق ) .

جاء علي ابن ابي طالب عليه السلام ليؤسس للبشرية مبادئ العدالة الاجتماعية ، ويرفض معها كل أشكال الانحراف والتعدي على الحقوق ، ويرفض مهادنة الباطل على حساب الحق ، ويأبى إلا أن يكون الناس سواسية في دولته العادلة ، مما أزعج الكثير من النفعيين والوصوليين فراحوا يكيدون له المكائد وينصبون له الافخاخ ، وعلي ماض في نهجه لا يخشى أحدا منهم ، فهو ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وتلميذه وشريكه في بناء الدعائم الأولى لدولة الحق والعدالة والمساواة .  
يقول عليه السلام : ( لا تستوحشوا طريق الحق لقله سالكيه ) .

ويقول عليه السلام : ( واعلموا أنكم إذا اتبعتم الداعي لكم سلك بكم منهاج الرسول ، وكفيتم مؤونة الاعتساف ، ونبذتم الثقل الفادح عن الأعناق )<sup>6</sup> .

ولم يكتف عليه السلام بطرح النظريات وصياغة القول البليغ في معنى العدالة ، بل كان في سلوكه وفعله رمزا للعدالة الإنسانية ، فقد رفض الظلم والجور وأبى إلا أن يكون رجل العدل والحق .  
ففي كلام له حول معنى العدل ، يمكن أن نستنتج منه مفهوما كاملا وتعريفا شاملا للعدالة ، وهو : ( أنه سئل عليه السلام أيهما أفضل العدل أو الجود ؟ فقال عليه السلام : العدل يضع الامور مواضعها والجود يخرجها عن جهتها ، والعدل سانس عام والجود عارض خاص ، فالعدل أشرفهما وأفضلهما )<sup>7</sup> ، وهذا ينطبق على التعريف المشهور للعدل وهو : ( وضع كل شيء فيما وضع له ) ، فالأفراد في المجتمع الإنساني يختلفون عن بعضهم وتفاوت بينهم الكفاءات والقابليات والاستعدادات والقيم وأسس العلم والفضيلة والإيمان والأخلاق .

وحقوق الناس في مختلف الشؤون تتحدد على وفق هذه الموازين ، فلو كان التقييم صحيحا ، وحصل كل فرد على ما يستحقه من الحقوق طبقا لقابلياته لتحققت عندئذ العدالة الاجتماعية ، أما لو لم تتحدد الأسس والدرجات الاجتماعية على أساس المقاييس الحقيقية ، فذلك هو الظلم الذي ينشر الفوضى في النظام الاجتماعي .

وفي الحديث المتقدم نجد ان الامام عليه السلام قد سنل عن خاصيتين من الخصائص الإنسانية التي يسعى الإنسان للاتصاف بها وهما العدل والجود ، وقد يبدو لأول وهلة أن يكون الجواب أن الجود أفضل من العدالة إذ العدالة هي رعاية حقوق الآخرين ، وعدم التعدي والتجاوز على الحقوق ، وأما الجود فهو أن ينشر الانسان بيده حقوقه المفروضة له على غيره ، فالعادل حافظ للحقوق غير متجاوز عليها ، أما الجواد فهو مضح بحقوقه للآخرين ، فالجود على هذا يكون أفضل ، ولكن الإمام عليه السلام يجيب على عكس ذلك ، فيرجح العدل على الجود ، وذلك بدليلين وهذا ما يتضح من خلال جوابه .

### الدليل الأول :

العدل يضع الامور مواضعها ، والجود يخرجها من جهتها ، فمعنى العدالة هو أن تلاحظ الحقوق الواقعية والطبيعية فتعطي لكل شخص ما يستحقه حسب استعداده وعمله ، وحينئذ يجد كل شخص مكانه في المجتمع ، أما الجود فهو وإن كان مغناه أن يهب الجواد ما يملكه للآخرين ، ولكن لا ينبغي الغفلة عن أنه عمل ليس طبعيا في المجتمع ، فالمجتمع الكامل هو المجتمع الذي لا يوجد فيه عضو محتاج ، مما يستدعي من سائر الاعضاء ان يهبوا لمد يد العون والمساعدة .

### الدليل الثاني :

أنه قال : (العدل سانس عام والجود عارض خاص ) ، فالعدالة قانون يُدبر جميع شؤون المجتمع ، فهي سبيل يسلكه المجتمع ، أما الجود فهو حال استثنائي خاص لا يمكن أن يصبح قانونا عاما فالنتيجة هي أن العدل أشرفهما وأفضلهما<sup>8</sup> .  
فالعدل إذن في نظر علي عليه السلام أشرف وأفضل من رتبة الجود ، فإن الجود وإن كان بحد ذاته من الخصال الحميدة الجديرة بالتقدير ، لكن العدل لو طبق في نظام المجتمع وأعطى كل إنسان ما يستحقه من الحق فذلك لا يعني ظلما لأحد ولا ضياعا لحق احد .  
لذا فإن العدل في السياسة والاجتماع والحكم والقضاء والمسائل المالية والحقوق الجزائية وغيرها، محور عام يشعر الجميع بالأمن في ظله ، ويزول الخوف والقلق عند الناس من ضياع حقوقهم .  
ثم أنه في وصفه للمرحلة التي سبقته يقول عليه السلام : ( والله لا يزالون حتى لا يدعو الله محرما إلا استحلوه ولا عقدا إلا حلّوه ، وحتى لا يبقى ببيت مدر ولا وبر الا دخله ظلمهم ، ونبا به سوء رعيهم ، حتى يقوم الباكيان يبكيان : باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه ، (...)<sup>9</sup> .

وهو هنا عليه السلام يشخص ما آلت إليه أمور الأمة وحال الذين كانوا على حكمها ، الذين طمعوا في الدنيا فأظهروا مظاهر الترف والبذخ وعدم الإهتمام بقضايا الناس وأمورهم المعيشية والحياتية التي ظهرت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأدت هذه المظاهر الى انحلال المجتمع الاسلامي وتفككه وابتعاده عن النهج القويم الذي رسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فكان من الطبيعي جدا عند الإمام عليه السلام عندما تسمح له الفرصة ان يشهر سيفه ويتصدى لهذه الألوان من السياسة القائمة على أسس باطلة وظالمة وغير عادلة ، والتي أوجدت طبقة من الاشراف لا تستمد قيمتها من المثل العليا للإسلام ، وإنما من الامتيازات التي أسبغها عليها الحكام .

ومن هنا كانت أبرز المشاكل التي واجهها الإمام بمنهجه الإصلاحية يوم تولى الحكم ، هي مشكلة الفقر والغنى وتعامل الولاة مع الانسان على اساس نسبه وحسبه ، من دون مراعاة المقاييس الدينية والاجتماعية التي تفرض على الحاكم أن يهتم بشؤون المساكين والفقراء ، ويكون نظره منصبا على إنسانية الإنسان ، ومن هذه المشاكل عدم المساواة في التوزيع المالي والاقتصادي التي كانت تهدد باستتصال ما غرسه النبي صلى الله عليه وآله في نفوس المسلمين .

ولهذا فإن الامام علي عليه السلام رفع شعارا أساسيا لمرحلة ولايته وحكمه ، حيث خاطب الناس عند توليه زمام الخلافة قائلا : ( وإنما انا رجل منكم لي ما لكم وعلي ما عليكم .... واني حاملكم على منهج نبيكم صلى الله عليه وآله لأنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أيما وال ولي الأمر من بعدي أقيم على حد الصراط ، ونشرت الملائكة صحيفته ، فإن كان عادلا أنجاه الله بعدله ، وإن كان جائرا انتفض به الصراط حتى تتزائل مفاصله ، ثم يهوي إلى النار، فيكون أول ما يتقيها به أنفه وحر وجهه )<sup>10</sup>.

وفي كلام آخر يقول عليه السلام : ( وأيم الله لانصفنَّ المظلوم من ظالمه ولأقودنَّ الظالم بخزامتة ، حتى أورده منهل الحق وإن كان كارها )<sup>11</sup> .

#### الهوامش :

1. سورة الحديد / 25 .
2. سورة ص / 26 .
3. سورة النساء / 56 .
4. سورة الشورى / 15 .
5. سورة الحجرات / 10 .
6. نهج البلاغة : الحكمة 429.
7. نهج البلاغة : الخطبة 164.
8. ينظر: في رحاب نهج البلاغة ، الشهيد المطهري ، ص 92 .
9. نهج البلاغة : الخطبة 96 .
10. شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : الجزء 7 ، ص 36 / 37 .
11. نهج البلاغة/ الكتاب 136.